
BLACK DEATH
AHMED ABDEL HAMID
قصة قصيرة
الموت الأسود
أحمد عبد الحميد

الموت الأسود

أحمد عبد الحميد

1

الحلم

الاحد 19 نوفمبر

الساعة 10 صباحا

بعد أن طرق على الباب عدة طرقات خفيفة دخل إلى مكتب رئيس الأمن الموجود في المطار الدولي وقدم كارت ابيض للضابط المسؤول وهو يقول :

- انا الدكتور "يوسف زياد"

رحب به الضابط المسؤول وهو يشير إليه بالجلوس ثم أمر الساعي عبر الهاتف أن يحضر كوبا من العصير ثم نظر إلى الطبيب وقال :

- احنا يا دكتور "يوسف" مش دايما بنقابل حالات زي الحالة اللى شوفناها وحصلت النهاردة

قال الطبيب "يوسف" بعد أن وضع حقيبته الجلدية الفاخرة على المنضدة الصغيرة :

- اقدر اعرف هو ايه اللى حصل بالظبط ؟

- من حوالي تلات ساعات كده يا دكتور "يوسف" كانت في

رحلة برقم 752 متجه الى ألمانيا وقبل ما الطيارة تتحرك بخمس دقايق فجأة في شخص قعد يتنطط ويصرخ ويقول إنه شاف كائن غريب موجود في الطيارة وهيكون سبب في وقوع الطيارة وطلب أنه ينزل منها.

قال الدكتور يوسف وهو يخرج كراسته الصغيرة من حقيبته :

- كائن غريب ازاي ؟ عفريت مثلا ؟!

أخرج الضابط علبة سجائره وعرض على "يوسف" سيجارة فرفض يوسف في ود فاشعل الضابط سيجارته واكمل حديثه وقال :

- هو محددش بالظبط ايه نوع الكائن ده .. هو كان في حاله عصبية شديدة وكان بيصرخ

قال "يوسف" وهو يخرج قلما من جيب سترته :

- ممكن تكون هلاوس أو تخيلات شافها

- ده اللى حاولت المضيفة تعمله معاه وتقولهوله وان مفيش حاجة في الطيارة لكنه أصر ينزل منها .. احنا بنقابل احيانا حالات بتكون أول رحلة طيران ليهم وبيكونوا خايفين جدا وساعات بيخلقوا أمور علشان ينزلوا من الطيارة زي مثلا أنه يدعي انه مريض او ان في حد مات عنده من قرايبه لكن

بذكاء المضيفات بيقدروا يعرفوا يسيطروا على الموقف كويس اوي وكمان بيميزوا ما بين الصادق والشخص اللى اضطر يكذب علشان خايف من الطيران.

قال الطبيب "يوسف" بعد أن رشف رشفة من كوب العصير:

- فكرة أن طيارة تقع من وهي طايرة في السما وتنفجر على الارض أو تقع في البحر فكرة مؤلمة في حد ذاتها فما بالك لو أن الفكرة دي جت في دماغ شخص مضطرب عصبيا

قال الضابط:

- اي إنسان في الدنيا بيتمنى يموت موته طبيعية ، فكرة الموت محروق أو أن جثتك تبقى أشلاء أو غرقان هي فكرة في حد ذاتها مرعبة

- قال الطبيب:

- فعلا يا حضرة الضابط .. طيب أنا ممكن اقابل الحالة دي ؟

قال له الضابط المسؤول وهو يبتسم له ابتسامة لطيفة:

- أكيد طبعا يا دكتور وهو ده السبب الرئيسي أن حضرتك تشرفنا هنا .. هو في العادة إحنا بنعمل محضر بالواقعة وبيخرج بضمان محل الإقامة لأن هو مسببش اي شغب أو

ضرر لكن مع إصراره ومع التفاصيل اللى حكهالي خلاني استدعي حضرتك علشان اعرف أقيم حالته كويس قبل ما اتخذ اي إجراء قانوني لأن مساله الحبس وعرضه على النيابه هتكون له بهدله كبيره وانا مش بحب ابهدل حد على الفاضي بخلي دايما الانسانيه جزء من واجبي

ثم أمسك بالهاتف وقال :

- هاتلي الاستاذ اللى كان عامل مشكلة في الطيارة

بعد قليل دخل شخص وهو يبدو على ملامحه الإرهاق والتوتر الشديد ، فنظر له الضابط المسؤول وقال وهو يشير بيديه على الكرسي الموضوع أمام الطبيب :

- اتفضل اقعد يا استاذ وليد ، الدكتور يوسف عاوز يسمع منك إيه اللى حصل معاك في الطيارة واللى شوفته وعاوزك تطمن هو هنا علشان يساعدك فياريت حضرتك تتعاون معاه

ثم نظر إلى الطبيب وقال :

- أنا هخرج يا دكتور يوسف وهسيب حضرتك مع الاستاذ وليد علشان تعرفوا تدردشوا براحتكم

خرج الضابط من الغرفة ونظر الطبيب إلى "وليد" الذي ظل واقفا أمامه يمسح بعينيه أرجاء المكتب الخشبي في إرهاق

وقال :

- اتفضل يا استاذ وليد اقعد ليه حضرتك واقف ؟

نظر إليه وليد للحظات قليلة ثم جلس في هدوء وهو يقول :

- اكيد افتكرتوا الي مجنون ، صح ؟

ابتسم يوسف ثم مد يده وأخرج علبة سجائر من حقيبته ثم أخرج سيجارة وقدمها إلى وليد وقال في تساؤل :

- تدخن سيجارة ؟

فأخذها وليد ثم اشعل له الطبيب سيجارته بالقداحة ثم وضع علبة السجائر مرة أخرى في حقيبته . فقال "وليد" بتهكم وهو ينظر بعينيه المرهقتين في عيون يوسف :

- معاك علبة سجاير مع انك مبتدخنش يا دكتور

فنظر له يوسف في تساؤل وقال :

- وعرفت بقى منين انى مش بدخن ؟

قال وليد وهو ينظر إلى ممحاة السجائر الزجاجية الموضوعة على المكتب الخشبي :

- لأن طفاية السجاير مفيهاش غير عقب سيجارة واحدة واكيد دي بتاعت الظابط مع أنه شره في التدخين تخيل اني

لما قعدت معاه شرب خمس سجاير في عشر دقايق بس واكيد حضرتك لما جيت وقعدت معاه عزم عليك بسجاير واكيد حضرتك رفضت فذوقيا منه مرضاش يشرب سجاير كتير علشان ميضايقش حضرتك

ثم نظر إلى أرجاء الغرفة واستكمل قائلا :

- غير كده انا مش شايف دخان كتير أو ريحة سجاير باينه في المكتب وده استحاله يحصل في مكتب ضابط بيشرب خمس سجاير في عشر دقايق

أبتسم "يوسف" وقال :

- خلينا نقول إن كل اللى قولته بيدل على أن حس فراسه عندك ممتاز وانك شخصية لماحه ،بس خليني اقولك برضه أن تحليلك مكنش صحيح بنسبة 100% لان بمنتهى البساطة انا بدخن سجاير فعلا بس بمواعيد محددة

ابتسم وليد بجانب فمه وقال :

- زي ما كان بيعمل نجيب محفوظ ؟

هز يوسف رأسه متفقا مع وليد وقال وهو يبتسم وقال :

- مظبوط يا استاذ وليد

ثم أمسك بقلمه وفتح كراسته الصغيرة وقال :

- ها بقى يا استاذ وليد .. ممكن تحكيلي ايه اللى حصل ؟

- انا حكيت حكايتي الف مرة لحد دلوقتي

- وفيها ايه لما تحكيهالي تاني ؟ أدينا بندردش

قال وليد في تذمر :

- بس أنا مش مجنون يا دكتور انا متأكد من كل اللى حصل ومتأكد من كل اللى شوفته

ابتسم يوسف وقال :

- ناس كتير متخيلة أن الطبيب النفسي بيتعامل بس مع المجانين لكن صدقني مش شرط تكون مجنون ممكن يكون كل اللى عندك هو ضغط عصبي

صمت "وليد" لبرهة وهو في حيرة من أمره ، فقال له يوسف في ود :

- طيب ايه رايك نتعرف على بعض الاول ؟

- يعني حضرتك تقصد عندي كام سنة واسمي ايه وكده ؟

- مظبوط

تنهد وليد وهو ينظر إلى أعلى الغرفة وقد أدرك أنه لا مفر من الحديث مع الطبيب فهو أصبح أمام الناس مجنونا ، ثم نظر إليه وقال :

- أنا يا دكتور اسمي وليد سليمان البشبيشي عندى ٣٦ سنة وبشتغل مهندس أرمل ومعنديش اطفال

دون الطبيب ما قاله في كراسته الصغيرة ، ثم قال :

- زوجة حضرتك متوفيه قريب ؟

- متوفيه من حوالي خمس سنين

دون الطبيب ما قاله في كراسته الصغيرة فقال له وليد :

- انت كده شخصتني وعرفت حالتي ؟

ضحك يوسف وقال :

- لا ، بس تقدر تحكيلي من الاول ايه اللى حصل

اخذ وليد نفسا عميقا وهو ينظر إلى سقف الغرفة كأنه يحاول أن يرتب كلامه ويستعيد اتزان عقله وهدوءه ثم نظر في عيون يوسف وقال :

- هو ممكن حد يحلم بموته ؟

- مش فاهم قصدك

- انا حلمت بموتي

- ازاي ؟

- الحكاية كلها ابتدت من امبارح رجعت من الشركة اللى أنا بشتغل فيها بعد ما اخدت اجازتي السنوية وكنت مقرر اني أسافر ألمانيا سياحة في الإجازة دي ، وبعد ما دخلت بيتي اكلت لقمة بسيطة وجهزت شنطتي وقررت اني أنام شوية قبل ميعاد السفر علشان اكون فايق وخصوصا اني ساكن في محافظة بعيدة عن المطار

دون يوسف ما قاله وليد في كراسته الصغيرة ثم قال :

- وبعدين ؟

قال وليد وهو يتذكر الأحداث :

- بعد ما نمت حلمت انى راكب قطر وتحت رجلي شنطة السفر بتاعتي كأني مسافر وبعدها جت ست عجوزة وقعدت جمبي وفضلت تعيط وتبكي جامد جدا .. وشها مكنش باين في الحلم .. وانا مقدرتش استحمل بكاها الشديد فقررت انى اقوم من جنبها واروح اقعد في كرسي تانى بعيد عنها لغاية ما لقيت كرسي فاضي وقعدت وبعد شويه جه راجل عجوز

قعد جمبي وبعدين حضني وقالي وحشتني اوي .

- قال يوسف :

- تعرف الست دي او الراجل ؟

- زي ما قولت لحضرتك الست العجوزه وشها مكنش باين في الحلم والراجل العجوز معتقدتش انى شوفته قبل كده

- قال يوسف :

- تفاصيل منظمه بالنسبة لحلم بس كل ده ممكن يكون من تأثير استعدادك لسفرك وعقلك الباطن مستعد وبينبهك أن عندك سفر ومش عاوزك تروح عليك نومه.

- مش عارف يا دكتور ، بس في الحلم وانا في القطر الراجل اللى حضني ده اختفى بعد شوية وقعدت ابص عليه يمين وشمال ، لكن الوضع في القطر كان عادي يعنى ممكن تشوفه في اي مكان تلاقى أشخاص قاعدة بتتكلم ، ام بتلاعب ابنها الصغير ، واحد بيتكلم في المحمول ، واحد تانى بيتكلم مع مراته ، ام بتزعق لأولادها بسبب شقاوتهم ، صوت شخير لحد قاعد جنبي ، يعني عادي جدا.

ثم مكث لبرهه وهو ينظر في الفراغ وبعدها استكمل حديثه

قائلا :

- وبعدين وأنا في الحلم وراكب القطر بسرح في تخيلاتي واحلامى وطموحاتى وانا ببص من شباك القطر وشايف شكل الزرع الأخضر اللى مالي الأراضي الزراعية ، وفجأة المح في جزء من الثانية شئ غريب بيخرج من الزرع وبعدين بيختفي في لمح البصر وحاولت اقول لنفسي أنه متهيألي.

قال الطبيب :

- ايه هو الشئ الغريب ده يا بشمهندس ؟

- مكنتش عارف وقتها ولا عرفت اشوفه لانى بقولك انى قولت لنفسي أنه متهيألي .. عارف انت إحساس انك تكون بتعمل حاجة في شقتك وفجأة تلمح حاجة صغيرة جرت جمب رجلك وتقعد تقول ده اكيد متهيألي وبعد ما يظهر تانى تكتشف أنه كان فار صغير او صرصار وتعرف أن اول مرة مكنش متهيألك ولا حاجة وانك كنت بتحاول تقنع نفسك بكده ؟

ابتسم يوسف وقال :

- أيوة ساعات بيكون كسل منا أو بتكون مشغول في حاجة فتقرر أن اللى حصل ده مجرد تهيوات

قال وليد نافيا :

- بالعكس يا دكتور ده مش كسل مننا ، ده خوف ... الخوف من ايه اللى هيحصل بعد كده .. الخوف من المستقبل .. لانك لو كنت اهتميت باللى لمحته ده وقعدت تفتش وراه وكركبت الشقة كلها وجبتها من فوقيها لتحتيها وفي الاخر ملقتش حاجة فوقتها انت مضطر تعمل مجهود اكتر علشان ترتب شقتك تانى وده هياخد من طاقتك اكتر وكمان هتكتشف أن خسرت يومك ورا حاجة كانت في النهاية تهيؤات

- قال يوسف متسائلا :

- طيب لو اكتشفت بقى أن اللى لمحته ده كان صحيح ؟

قال وليد وهو ينظر في عينيه بنظرات ثابته :

- ده هو الخوف الأكبر .. لان ساعتها هيكون فيها لحظة التحدى .. اللحظة اللى بتقرر فيها أن مينفعش واحد منكم يفضل موجود في الشقة دى واكيد انت مش هتتنازل عن وجودك في شقتك علشان فار او صرصار وهيكون في صراع مابينكم برضه هياخد من طاقتك ومن مجهودك لحد ما تعرف تتخلص منه .

قال يوسف :

- وجهة نظرك تحترم .. هو حضرتك يا أستاذ وليد قولتلي بتشتغل ايه ؟

قال وليد :

- مهندس .. هو حضرتك نسيت يا دكتور ؟

قال يوسف :

- لا منستش .. انا بس بتأكد لاني شايفك بتتكلم بطريقة فيها شوية فلسفة

ضحك وليد بقوة وقال :

- احنا شعب بنحب الفلسفة .. بنحب نتفلسف في كل شئ

قال يوسف :

- طيب ايه رايك تكملي باقي الحلم .. آخر حاجة قولتها انك لمحت حاجة خرجت من الزرع وبعدين اختفت تاني في لمح البصر

تحول وجه وليد المبتسم الضاحك إلى وجه جامد ثم نظر إلى الفراغ وقال :

- فضلت زي ما أنا ببص في الشباك ومرة تانيه وفي جزء الثانية كيان أسود خرج فجأة من ارض زراعية وطار في

السما وبعدين نزل فوق القطر

- في الجزء من الثانية لمحت كل ده ؟

تحول وجه "وليد" الجامد إلى وجه مبتسم وكأن بلاهة العالم إصابته وقال :

- ما ده حلم بقى يا دكتور ؟

نظر له يوسف في صمت وقد استغرب ردود فعله التى تصيبه من وقت لآخر وخاصة في ملامح وجه ، احيانا تصبح طريقته في منتهى البلاهه وفجأة يصبح متزنا واثقا من كلامه وفجأة يتحول إلى شخص غريب يتحدث بفلسفه شديدة فدون داخل كراسته الصغيرة بضع الكلمات ثم قال :

- طيب اتفضل كمل كلامك ؟

- في الحلم صرخت وقلت لراجل كان قاعد جمبي أنت شوفت اللى حصل ؟ فقالي أنه مشفش أي حاجة ، فتحت شباك القطر وبصيت وخرجت رامي وبصيت لفوق ، فوق سطح القطر ، ولمحت جزء منه ، وفجأة لاقيت وشه في وشه كانت ملامحه مرعبة وسنانه حادة ولعابه السايل كان بيطير وييجي على وشي بسبب الهواء وفجأة صرخ بصوت عالي

- حلم مرعب

- جدا يا دكتور .. تفاصيل الكلان ده أنا فاكرها كويس جدا لكن مش قادر اوصفهولك

- طيب اتفضل كمل

قال "وليد" وقد تملكه بعضا من الخوف من تذكر الحلم :

- بعد ما صرخ في وشي دخلت رامي بسرعة من الشباك واخدت شنطتي وقررت اني انط من القطر ، لكن مجرد ما خرجت من باب القطر لاقيت نفسي في المطار ، وفي واحدة قاعدة جمبي في صالة الإنتظار وبتقولي أوعى تفتكر انك هربت منه ، مفيش حد بيقدر يهرب منه ، بصتلها اوي كده وقولتلها انتى بتقولي ايه ، وسبتها ورحت شربت قهوة

قال "يوسف" في استغراب :

- تشرب قهوة ؟ في الحلم ؟

نظر له "وليد" وقد بدأت العصبية تظهر على ملامحه :

- ما انا قولتلك يا دكتور أنه حلم ، ومن فضلك مش كل شوية تقاطعني

أعتذر "يوسف" له وطلب منه أن يستمر في حديثه ، فشرب

وليد القليل من الماء من الكوب الموضوع بجوار العصير ثم قال وهو ينظر في الفراغ متذكرا :

- في الحلم لاقيت نفسي راكب الطيارة وقاعد جمب الشباك والطياره في السما وانا بتفرج على شكل السما والوقت كان ليل واحنا فوق السحب ، مشهد جميل جدا ، وبعد شويه حبيت اروح الحمام ، وأنا في طريقي للحمام الموجود في الطيارة كنت ماشي في الممر وفجأة لاقيته اودامي

ثم نظر إلى "يوسف" وعلى وجه علامات الفزع :

- كان الكلان ده يا دكتور .. الكلان الغريب كان واقف في اخر الممر وهو بيبص لي بشراسه ، عيونه مرعبة ، وكان باصصلي كأنه بيتأكد أني شوفته وفجأة وفي جزء من الثانية نط وخرج من الشباك وبقى واقف على جناح الطيارة الغريب أنه الازاز بتاع الشباك كان سليم محصلهوش حاجه كأنه مر من خلاله زي الهوا .. صرخت وقعدت انطنط واقول للركاب اللي معايا الحقوا شايفين الكلان ده ، الناس بقت تبص من الشباك ومحدش كان مصدق لأنهم مكنوش شايفينه زي ما انا شايفه محدش كان مصدقني وجت المضيفة وهدتني وقعدتني مكاني وجابتلي شوية ميه علشان اهدا .

دون "يوسف" ما قاله "وليد" في كراسته ثم قال :

- حلم غريب وتفاصيله كثيرة جدا

- انا عاوز أقولك لنى مش ناسي اي حاجة من الحلم ده كاني عشته في الواقع قبل كده

- طيب اتفضل كمل

ابتلع "وليد" ريقه في صعوبه ثم مسح وجه بيديه وبعدها أخذ نفسا عميقا وبدأ يحكي وهو ينظر في الفراغ جامد الملامح كعادته :

- بعد ما المضيفة جابتلي كوب المياه وشربته قعدت شويه اقنع نفسي أنه تخيلات أو هلاوس ، لكن وأنا ببص تانى من الشباك لمحته من الشباك

ثم نظر إلى "يوسف" وقال صارخا :

- تاني يا دكتور ، شوفته تانى والناس مكنتش مصدقانى لما حذرتهم اول مرة

وقف "يوسف" وهو يربت على كتف "وليد" مهدئا وهو يقول :

- أهدى يا بشمهندس .. أهدى كده .. متنساش أنك بتحكي حلم

ثـم ناولـه كـوب الماء ليشـرب قليـلا وبعـد أن رشـف رشفات سريعه من الماء قال "وليد" وهو يحاول أن يكون هادئا :

- مش ناسي يا دكتـور .. لكـن الحلـم ده يا دكتـور كأنـه كان حقيقـه انا فاكر كل تفصيله حصلت فيه وكأنها اتنقشت جوا عقلي

قال "يوسف":

- الأحلام ليها فلسفتها الخاصة والمعقدة محدش يقدر يفهمها وحتى اللى حاولوا يفسروا الاحلام كل واحد كان له وجه نظر مختلفة عن التانى لأنه فسرها حسب اعتقاده ، يعنى في اللي فسرها دينيا وفي اللى فسرها فلسفيا وفي اللى فسرها طبيا لكـن فـي النهايـة تفضـل الأحـلام والكوابيـس كمان ليهـم فلسفتهم الخاصة وكل اللى بنقدر نعمله في الاخر لما بنصحى من النوم أننا نقول اللهم اجعله خير .

قال "وليد" في هدوء :

- ونعم بالله يا دكتور .. عندك حق

قال "يوسف":

- طيب ممكن تكملي ايه اللى حصل في الحلم

قال "وليد" :

- لما بصيت من الشبـاك لتانى مـرة شوفتـه تانى بس المرة دي كـان طايـر وكـان قريـب جـدا من الجنـاح ، بصتلـه اوي وأنـا بحـاول أصـرخ ، لكن صوتي مكنـش عـاوز يطلـع ، كأن في حد كـاتـم صوتي ، أو مكمـم بوقـي، وبعدهـا الكائـن ده بكـل قوتـه ضرب نفسه في مراوح الطيارة اللى موجودة في الجناح اللى بعـد لحظـات قليلـه جدا انفجـرت ، وبعدهـا أقـوم مفـزوع من نومي وجسمي كله عرقان .

* * * * *

2

الطـائـرة

الاحد 19 نوفمبر

الساعة 23 : 11 صباحا

نظـر يوسف إلى ساعته ثم الي الساعي الذي كان يضع فنجان من القهـوة أمامه بعـد ان وضـع فنجـان آخـر من القهـوة أمـام "وليد" ثم استأذن وانصرف في هدوء ... فارتشف وليد القليل من القهـوة ثم أخذ يفتش في جيوبه عـن شئ ما ثـم نظـر إلى يوسف وقال :

- ممكن استأذنك في سيجارة يا دكتور

ابتسم له يوسف ثم أخرج علبة السجائر والقداحة من حقيبته الجلدية وأعطاهم الي وليد الـذي أخذهم وأخرج سيجارة ثـم أشعلها ثم قال ليوسف :

- الف شكر يا دكتور .. هو ميعاد سيجارتك مجاش لسا ؟

هز يوسف رأسه مؤكدا على كلامه وقال :

- لسا ...

ثم ارتشف القليل من القهوة وبعدها امسك قلمه وقال :

- وبعدين يابشمهندس وليد ؟ ايه اللى حصل بعد ما صحيت من النوم ؟

سحب وليد نفسا من سيجارته ثم قال :

- صحيت مفزوع من النوم واقعدت اتشاهد واستغفر ربنا في سري وأنا حاطط ايدي على صدري .. كان قلبي بيدق جامد وكأنه هيخرج من صدري وبصيت في ساعتي لاقتها الساعة واحدة بالليل ولنا كان ميعاد طيارتي الساعة تمانيه يعنى كان قودامى وقت كويس جدا اجهز فيه نفسي علشان الحق طيارتي ولبست وجهزت نفسي ونزلت من الشقة وطبعا منستش اخبط على البواب وأعرفه انى مسافر كام يوم ووصيته أنه ياخد باله من شقتى ولنا بحطله قرشين في أيده وخرجت من العمارة وركبت عربيتي ...

قال "يوسف" مقاطعا حديث "وليد" وقال :

- ثانيه واحدة يا بشمهندس .. هو انت كنت مقرر تسافر من محافظتك لحد المطار بعربيتك ؟

قال وليد :

- أيوة يا دكتور كنت مقرر كده من وقت ما حجزت تذكرة

الطيران كمان ووصيت بنت خالتى اللى عايشه هناك قريب من المطار أنها تقابلني في المطار علشان تاخد مني العربية تخليها عندها في جراج العمارة اللى ساكنه فيها علشان تكون في امان بدل ما تتسرق أو المرور يسحبها .

قال يوسف متسائلا :

- سؤال فضولي شوية ؟ اشمعنى بنت خالتك ؟ كان ممكن اخوك او حد من قرايبك ييجي معاك بعربيتك لحد المطار وبعدين يرجع بيها وياخد بالها منها لحد ما ترجع بالسلامة.

وضع وليد سيجارته المشتعله على ممحاة السجائر ثم أمسك كوب القهوة وارتشف منه البعض القليل الباقي في الفنجان ثم وضعه ونظر إلى يوسف وقال :

- لأن ببساطة يا دكتور انا وحيد ابويا وامى .. مليش اخوات وكمان ملناش قرايب في المحافظة اللى احنا عايشين فيها وبعدين بنت خالتى وجوزها بثق فيهم جداً وكمان احنا متربيين مع بعض من واحنا صغيرين يعنى زي الاخوات بالظبط

قال "يوسف" في تساؤل :

- ماشي .. بس انت مش شايف إن مسألة سفرك بعربيتك

بيهدم نظرية الحلم بتاعك أو بيهدم نص الحلم على الأقل لانك جيت المطار بالعربية مش بالقطر ؟

قال "وليد" وهو ينظر فى عينيه بغموض :

- بس انا محكتلكش لسا ايه اللى حصل معايا في الطريق وانا مسافر بالعربية

امسك "يوسف" بالقلم وكراسته ونظر إلى "وليد" وقال :

- وانا كلي آذان صاغية

نظر "وليد" إلى الفراغ وقال :

- كانت الساعة بقت حوالي تلاته وأنا على الطريق الزراعي وبعد كده طلعت موبايلي من جيبي ووصلته بالاستريو بتاع العربيه وشغلت اغاني نجاة الصغيرة .. أصل انا من عشاق نجاة الصغيرة يا دكتور وبالذات اغنية القريب منك بعيد والبعيد عنك قريب كل ده وقلبي اللى حبك لسا بيسميك حبيب ، أكيد انت عارف الاغنية دي يا دكتور .. المهم وأنا سايق عربيتي فضل الحلم بيجي في خيالي وكل شوية اقعد استعيذ بالله من الرجيم وارجع تانى اشغل عقلي بصوت نجاة الصغيرة وبدندن معاها في هجن وفجأة لمحت حاجة جرت قودام عربيتي ... دوست فرامل جامد ووقفت بالعربية

وسمعت واحد من عربيه تانيه بيشتمني وهو بيقول "يا حمار يابن الـ.." طبعا انا مشغلتش عقلي بيه .. اصل اللى أنا لمحته مكنتش وهم يا دكتور. أنا واثق اني لمحت حاجة عدت من قودام عربيتي بسرعة.

قال "يوسف" :

- خلينا نقول انك مكنتش نايم كويس وكمان الطريق كان ضلمة وأكيد مع الضلمة وكمان إضاءة العربيات اللي رايحه واللي جاية ممكن تخلق خيالات وضل يخليك تعتقد أن في حاجة عدت من قودام عربيتك

قال "وليد" في ثقة :

- أنا واثق يا دكتور من كلامي وواثق اكتر من اللى شوفته انا مش أول مرة أسافر او أسوق عربيتي في ظروف زي دي

قال "يوسف" :

- طيب يا بشمهندس .. ايه اللى حصل بعد كده ؟

قال "وليد" :

- ركنت عربيتي ونزلت أشوف ايه اللى عدا من قودامي .. أنا مبحبش اسيب التخيلات والتهيؤات تلعب في دماغي بحب

أواجه حتى ولو عارف انى ممكن أخسر وقتى على شويه تهيؤات لكن المهم عندى انى اكون متأكد من سلامة عقلي.

قال يوسف :

- ماشي .. وبعدين ؟

- قعدت ابص في وسط الزرع يمين وشمال لكن كانت الدنيا ضلمة فرجعت عربيتي واخدت موبايلي وفتحت الكشاف بتاعه ورحت ادور وابص كويس في وسط الزرع .. وفجأة لاقيت أيد حد على كتفي .. طبعا اتفزعت ونطيت من مكانى فلاقيت راجل عجوز لابس جلابيه غامقه بيسألني انا بعمل إيه هنا فملقتش حاجة أقولهاله غير انى مسافر وركنت عربيتي علشان أعمل زي الناس ومحفظتى وقعت منى فبشوفها وخلاص لاقيتها .. الراجل ابتسملي كده وانا موجه ضوء الكشاف لحيته وقالي طيب يابنى بلاش تبقى بعيد عن الطريق وعربيتك لأن المكان ده مليان بتعالب معرانه ممكن تأذيني فشكرته ورجعت عربيتي وكنت متأكد أن اللى عدى من قودامى في لمح البصر مكنش تخيلات ده كان تعلب.

قال "يوسف" مبتسم :

- عجبتني وجهة نظرك بتاعت أن مش كل حاجة نلمحها في

لحظات سريعه نرميها في سلة التهيؤات.

- أكيد يا دكتور أصل مش معقول أن في كون ماشي بنظام دقيق وبمنطق ممتاز تحصل فيه حاجات بس سرعة حدوثها كانت فوق قوة استيعاب العقل البشري فنيجي إحنا بقى نرميها على التهيؤات.

قال "يوسف" :

- وبعدين ايه اللى حصل ؟

قال "وليد":

- ركبت عربيتي وشغلت نجاة الصغيرة تانى لكن كانت في حاجة في عقلي بتقولي انى شوفت الراجل العجوز اللى قابلنى في الطريق ده قبل كده ، ومش عارف ليه عقلي ربطه ببواب عمارتى أصله دايما بيحب يجمع بوابين المنطقة كل خميس قودام العمارة عندنا ويتعشوا سوا كنوع من الود والقرب.

قال "يوسف" مازحا :

- إحنا كده دخلنا على فيلم (البيه البواب) بتاع الأستاذ احمد زكي.

ضحك "وليد" وقال :

- هو متقمص جزء من الشخصية دي .

قال "يوسف" :

- طيب في حاجة حصلت لما وصلت المطار ؟

قال "وليد" :

- بس أنا لسا محكتلكش ايه اللى حصل معايا في الطريق.

قال "يوسف" في تساؤل :

- هو لسا في أحداث حصلت ؟

- طبعا يا دكتور حاجات كتير وبغض النظر على أنى كنت هعمل حادثتين وأنا سايق عربيتي ، وبغض النظر أن ازاز العربية من ورا يجيليه سرطان ويقع متكسر زي حبات الرز ودول من الحاجات الطبيعية اللى ممكن تحصل لاي حد ، لكن الشئ اللى مش طبيعي انك تخبط ديب على الطريق الزراعي بعربيتك وفجأة تلاقي جماعته كلها جايه تهجم عليك وانت جوا عربيتك واللى يشتت عقلك اكتر أن العربية الجديدة واللى مبقلهاش شهرين عندي تتعطل في وقت هجوم جماعة الديابة دي عليا بالرغم أن خبطتى للديب مسببتش اي ضرر

في العربية غير أن الفانوس بس انكسر وبعد ما كنت هموت من الرعب بسبب الديابه دارت العربية أخيراً.

نظر له "يوسف" في اندهاش وقال :

- ايه النحس ده كله ؟

قال "وليد" :

- أنا مش مؤمن بحاجة اسمها نحس يا دكتور .. في حكاية قريتها قبل كده بتقول أن في ملك قديم كان خارج يصطاد وهو في الطريق وراكب عربيته الخشبيه لتتكسر فجأة عجلة من عجلاتها ولما ينزل الملك من عربيته وحواليه حراسه يلاقوا واحد شحات هدومه مقطعه ومنظره متبهدل ماشي قريب منهم فتشائم منه الملك وأمر بحبسه وهوب الحراس مكتبوهش خبر واخدوه رموه في السجن ولما غيروا العجلة المكسورة بعجلة تانيه سليمه كمل الملك رحلته ورجع بصيد تمين وكتير فقرر لما رجع أنه يكافئ الشحات ويعطف عليه ويراضيه ولما خرج الشحات وقابل الملك قال للملك يا مولاي انت لما شوفتني وعجلة عربيتك الخشبيه مكسورة افتكرت اني انا نحس عليك بالرغم انك رجعت بغنيمة كتيرة من رحلة صيدك وانا لما قابلتك بالرغم انى كنت ماشي في حالي بدور على لقمة اكلها اتسجنت فياترى يا حضرة الملك مين فينا كان

النحس على التانى ؟ اللى اتظلم واتسجن مع أنه معملش حاجة ولا الملك اللى اتكسرت عربيته الخشبيه وكانت قضاء وقدر ؟

قال "يوسف" :

- معاك حق يا بشمهندس (وليد) مش كل حاجة نرميها على النحس والتشاؤم (ابراهيم) ابن الرسول (محمد) عليه افضل الصلاه والسلام لما مات حصل خسوف للشمس فالناس وقتها اعتقدت أن الشمس حزينة على وفاة (ابراهيم) ولما وصل اللى حصل للرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم زعل جدا وغضب وخرج للناس وقالهم : { إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وهما لا تكسفان لموت أحد أو حياته }.

قال "وليد" :

-ساعات قوانين الصدفه بتلعب دورها .. لكن خلينا نقول إن اللى حصل معايا طول الطريق كانت كلها مجرد رسائل وتحذيرات انى مسافرش والغي الرحلة وأرجع شقتي تانى.

قال "يوسف" :

- طيب وليه مرجعتش ؟

قال "وليد" :

- الفضول يا دكتور .. الفضول اللى دايما بيخليك عاوز تعرف ايه اللى هيحصل بعد كده .. يمكن ده كله يكون صدفه وان الحلم اللى شوفته كان مجرد كابوس لأن مش من حقي احكم على شئ لسا محصلش.

قال "يوسف" :

- وايه اللى حصل بعد كده ؟

نظر "وليد" إلى سيجارته التى نساها مشتعله على ممحاه السجائر فوجد أن النيران قد التهمتها تماما فمد يده وأخرج سيجارة من علبة السجائر الخاصة بالطبيب "يوسف" بعد أن استأذن منه واشعلها ثم قال :

- وصلت المطار على الساعة ثلاثه ونص تقريبا واتصلت ببنت خالتى فقالت أنها بعتت جوزها علشان ابنها تعبان ومتقدرش تسيبه أو تجيبه معاها فشكرتها واتمنيت الشفا لابنها واتصلت بجوزها اللى لاقيته فعلا منتظرنى وسلم عليا واخد عربيتي ولاحظ طبعا كسرة الفانوس ومنساش يسالنى فقولتله انى خبطت كلب مرضتش طبعا اقوله التفاصيل كامله .. وبعد ما ودعني وطبعا منساش يطلب علبة الشيكولاته اللى بجيبهالهم

كل مرة بسافر فيها لألمانيا ...

فقاطعه "يوسف" وقال :

- لحظة واحدة يا بشمهندس وليد .. هو أنت متعود تسافر ألمانيا في كل إجازة.

هز وليد رأسه وهو يسحب نفسا من سيجارته دلاله على كلمة (نعم) فأستكمل "يوسف" سؤاله وقال :

- يعنى دي مش أول رحلة طيران ليك ؟

قال "وليد" بعد أن وضع سيجارته على ممحاة السجائر :

- انا مقولتش أن دي اول مرة اسافر بالطيارة

قال "يوسف" :

- انا كان متهيألي أن دي اول رحلة طيران ليك

اقترب "وليد" برأسه من "يوسف" وقال بنظرات ثابته :

- متمشيش ورا تهيؤاتك كتير يا دكتور لازم تسأل وتتأكد.

ارتجف "يوسف" من داخله وشعر أن دوره كطبيب نفسي قد ينهار فليس من المفترض أن يقدم المريض نصيحه إلى طبيبه بل على العكس وخاصة أن جميع اقوال وليد وأسلوب حديثه منطقيه تماما حتى في نظرياته (التى تقنعك بالرغم

من اختلاف وجهه نظرك) فيها بأن هذا الشخص متزن وعقله منظم ومرتب بغض النظر عن تصرفات وتغيرات ملامح وجهه بين الحين والآخر .

كان يوسف يشعر بأنه أمام حالة شاذة .. حالة لم تصنف من قبل ولم يقابلها في حياته من قبل والغريب في الأمر والاكثر قلقا بأن شعر يديه تنتصب بين الحين والآخر حينما ينظر إلي وليد ويجده ينظر بجانب فمه الأيسر .. وهنا فاق من شروده حينما سمع "وليد" يقول إليه :

- ايه يا دكتور روحت مني فين ؟

نظر إليه "يوسف" ثم قال وهو يلملم شتات عقله :

- احنا وصلنا لحد فين يا بشمهندس ؟

قال "وليد" :

- لحد ما وصلت المطار وجوز بنت خالتى اخد مني العربية

امسك "يوسف" بالقلم وكراسته الصغيرة ثم سأل "وليد" :

- وايه اللى حصل بعد كده ؟

قال "وليد" وهو ينظر في الفراغ مثل كل مرة :

- دخلت المطار وكانت الساعة وصلت أربعة وعشر دقايق

وقعدت في صالة الانتظار مستني ميعاد طيارتي.

قال "يوسف":

- وهل في حاجة حصلت زي ما حلمت ؟

قال "وليد":

- بالعكس الدنيا كانت هادية ومفيش أي حاجة حصلت خلال فترة انتظاري ده كمان كان في ولد وبنت سنهم قريب من بعض كانوا تقريبا اخوات توأم وكانوا بييجوا يهزروا معايا ويلعبوا وده كان كفيل بالتفاؤل.

- أكيد .. الأطفال ملايكة متجسدة ماشية على الأرض.

قال "وليد":

- بس في جملة بتقول تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن لأن وأنا واقف في الطابور بتاع الجوازات كانت قودامى ست عجوزه واقفة قودامى ومجرد ما وصلت للشباك وختمت الجواز بتاعها بصتلي وكانت بصتها ليا كفيله اني انهار عصبيا تماما

قال "يوسف" متلهفا:

- ليه ؟ ايه اللى حصل ؟

- لان دي الست اللى أنا شوفتها في الحلم.

قال "يوسف" :

- تقصد ايه ؟

- أقصد أن دي الست اللى كانت بتبكي في القطر جمبي وبالرغم انى مكنتش شوفت ملامح وشها في الحلم لكن أنا متأكد أنها هي لان لبسها وحتى تسريحة شعرها ولونه الابيض بيقولوا أنها هي.

قال "يوسف" :

- ممكن ده يكون من تأثير الحلم على تركيزك فخلق جوا دماغك أن الست دي هي اللي شوفتها في الحلم ومتنساش انك في الحلم اساسا مشوفتش وشها يعنى كل اللى بتوصفه من لبس أو تسريحة شعر ممكن يكون حالة تشابه ، المصنع اللى عمل الفستان ده عمل 100 غيره والشعر الابيض موجود عند اي حد عمره وصل لمرحلة العجز وكمان التسريحة مش دليل على انها هي.

قال "وليد" :

- ماهي همشي على نظريتك دي .. طيب والراجل اللى قابلته

في الطريق الزراعي ؟

قال "يوسف" في تذمر :

- ماله ؟

قال "وليد" :

- لما شوفت الست العجوزة دي عقلي نبت نبته فيه وأتذكر أن الراجل العجوز ده واللى مخي وقتها ربطه بالبواب بتاع عمارتي وأنه شبه واحد من البوابين اللى بييجوا كل خميس يسهروا معاه

قال "يوسف" متسائلا في حيرة :

- أيوة معناه ايه الكلام ده ايه ؟

قال "وليد" :

- يا دكتور الراجل العجوز ده هو اللى أنا شوفته في الحلم وحضني وانا في القطر

هرش "يوسف" ارنبة أنفه مفكرا ثم قال :

- ممكن دي تكون حالة من حالات ديجا.....

قال "وليد" مقاطعا حديثه :

- مش ديجافو .. ولا اي حالة من حالاتها .. أستحالة اكون فاكر تفاصيل الحلم كلها بكل دقه واجى عند الراجل العجوز مخي يخلق حاله خياليه انى شوفت الراجل ده قبل كده ، هو ده الراجل اللى أنا شوفته في الحلم يا دكتور .. انا متاكد .

شعر "يوسف" بأنه يتهاوى أمام هذة الشخصية الغريبة من نوعها فهو رجل يدرك كل الامور ، فقال له وليد أستكمالا على حديثه :

- وبعدين يا دكتور خلينا نمشي على نظريتك بأن الست العجوزة ممكن يكون اللبس وتسريحة الشعر فيها تشابه وان الراجل العجوز كان حالة من حالات ديجافو .. طيب وايه رايك بقى في اللى قعدت جمبي في الطيارة ؟

قال "يوسف" في تساؤل :

- مين دي ؟

اقترب "وليد" من "يوسف" وقال له بطريقة مرعبة :

- اللى شوفتها في الحلم وكانت قاعدة جمبي في صالة الانتظار وقالتلى اوعى تكون افتكرت انك هربت منه وسيبتها روحت شربت قهوة.

قال "يوسف" وقد بدأ عليه تشتت الإنتباه وعدم الفهم :

- مالها ؟

قال "وليد" بتذمر وبشئ من العصبية :

- مالها ايه يا دكتور ؟ ما دي إللى طلعت قاعدة جمبي لما طلعت ركبت في الطيارة .. وكانت بتبسم ليا وكأنها تعرفني من سنين ومتقولش أنها ممكن كانت معجبة بيا.

نظر له "يوسف" ببلاهة ثم استعاد اتزانه وقال :

- لا مش هقول كده .. بس ممكن تحكيلي ايه اللى حصل بعد كده ؟

قال "وليد" :

- طبعا الموضوع كان وصل معايا لذروته وكنت واثق وعارف ايه إللي هيحصل بعد كده .. فاضل انى اروح الحمام علشان تكون دي اول مواجهة حقيقية بيني وبين الكائن الغريب ده .. الشئ اللى بيتربصلي من ساعة ما نزلت من شقتي لحد ما ركبت الطيارة .. الطيارة يا دكتور اللى كانت فخ اتنصب ليا كويس علشان اموت موته مرعبة .. الموت الأسود يا دكتور اللى بتطلع منه جثتك محروقه أو أشلاء .. الموته اللى مفيش

بني ادم يتمنى يموتها.

قال "يوسف" :

- ربنا ما يكتبها على حد.

قال "وليد" :

- الغريبة فعلا اني اتزنقت وكنت عاوز أدخل الحمام .. لكن كنت خايف لاني عارف ايه اللي هيحصل بعدها .. حاولت امسك نفسي لكن مقدرتش وبدل ما اقوم علشان ادخل الحمام لاقيت نفسي قايم وعايز انزل من الطيارة .. المضيفة حاولت تمنعني لكني كنت مصمم وقعدت ازعق واصرخ واحذر الناس أنها هتموت لكن للأسف محدش كان بيسمعلي لانهم كانوا معتقدين اني مجنون وبعد فترة أخيرا قرر الطيار اني أنزل من الطيارة لاني هسبب حالة هلع في الطيارة والركاب ولاقيت فردين شرطة جم اخدوني واديني قاعد قودامك .

انتهى "يوسف" من تدوين ملاحظاته داخل كراسته الصغيرة وهو يقول :

- كنت متأكد أن مفيش كائن هيظهرلك لانه لو كان عاوز يظهرلك كان ظهرلك من البدايه.

- يعني ايه يا دكتور ؟

- يعني خلينا نقول انك حلمت بكابوس مرعب ... كابوس دخلك جوا متاهة أوهام وخلق تهيؤات معاك استخدم فيها قوانين الصدفه اللى حصلت معاك زى الحوادث اللى حصلت معاك في الطريق .

قال "وليد" :

- همشي على نظريتك يا دكتور، طيب وايه رايك في الشخصيات اللى قابلتها ؟

قال "يوسف" :

- مش من العدل أن احنا نحكم على شخصيات من اول مرة نشوفها في حياتنا عقولنا ساعات بتخلق أحداث وشخصيات بسبب ضغوط عصبية ولانت كنت مضغوط عصبيا بسبب الحلم أو الكابوس ده فقررت تحكم على الشخصيات دي أنهم هم اللى كانوا موجودين معاك في الحلم.

نظر إليه "وليد" في هدوء ولم ينطق بكلمة واحدة بل عاد إلى قلقه وارهاقه الذي دخل بهما في أول لقاؤهما فقال "يوسف" :

- أنا هتكلم مع حضرة الضابط انك تمام ومفيش اي حاجة فيك بالعكس انت شخص عاقل ومتزن ومثقف كمان وده

تقديـري من الجلسة اللى قعدناها مع بعض لكن كل اللى كنت فيه ده كان ضغط عصبي اتعرضـت له وده شئ طبيعي ممكـن يحصـل مع أي حـد وانا واثـق أنه هيفـرج عنك بضمـان محـل إقامتك.

هز "وليد" رأسـه في هـدوء ومـن الغريـب أن حينما انتهت جلستهما دخل عسكـري للغرفة كأنه يعلـم بأن الجلسه انتهت وحان وقت ارجاع وليد إلى حجزه وبعد قليـل دخل ضابـط الشرطـة وجلـس على مكتبـه فشـرح لـه يوسـف وضـع وليـد الصحي والنفسي والعقلي فتفهـم الضابط الأمـر وشكر يوسف في ود وحب ثم خرج يوسف من مكتب رئيس الأمن.

سـار يوسـف بضـع خطـوات ثـم سمـع رنيـن هاتفـه المحمـول فأخرجـه مـن جيبـه فوجـد أنـه المنبـه وان الساعـة أصبحت الواحـدة بعـد الظهـر وان هـذا ميعـاد سيجارتـه فأغلـق المنبـه وأخـذ يفتـش في حقيبتـه الجلديه مـن علبة سجائره وقداحته فتذكـر أنـه تركهـم في مكتـب رئيـس الأمـن فعاد وطـرق عدة طرقات ثم دخل فلم يجد أحدا في المكتب فشعر بالاستغراب أنه لم يبتعد عن المكتب سوا بضع خطوات قليله فكيف خرج الضابط بهـذه السرعـة ؟ ، فاعتقـد أنـه خـرج وراء منـه يتفقـد أحوال المطار أو أنه ينهي بعض الأوراق للإفراج عن وليد ، ثم

نظر إلى ممحاة السجائر فوجدها فارغة تماما بل كانت نظيفة فاعتقد بأن الساعي أخذ المتسخة وترك ممحاة أخرى نظيفه خاصة أن الضابط شره في التدخين كما أخبره وليد ثم التفت يمينا وشمالا فلم يجد علبة سجائره ، فظن أن الساعى قد اخذها أو أن وليد قد أعتقد أن علبة السجائر تركت له فأخذها كشئ من الواجب.

لم يشغل عقله كثيرا بهذا فيكفيه ما قص له من حكاية وليد وقصته مع الحلم والتى لم تحدث في الواقع فخرج من المكتب وسار إلى الكافيتريا فوجد فتاة حسناء واقفه فطلب منها علبة سجائر وفنجان من القهوة وبعد أن أخذ طلباته ذهب وجلس على ابعد منضدة في الكافيتريا وأخرج كراسته الصغيرة وأخذ يقرأ كل ما دونه من قصة وليد الغريبة .

أشعل سيجارته وسحب نفسا عميقا منها كأنه يريد أن ينعش صدره الذي اشتاق الى النيكوتين ثم امسك القلم وبدأ يكتب :

" من السئ أن نحكم على الجميع أنهم مرضى وليس من العدل أن نحكم على الجميع بأنهم عاقلين فبين الجنون والتعقل شعرة صغيرة أن قطعت ضاع العقل بين الاوهام والحقائق فتصبح الحقيقة وهما ويصبح الوهم حقيقة "

ثم أخذ نفسا آخر من سيجارته وارتشف رشفة من فنجان

قهوته ثم كتب :

" أن حالة اليوم لم استطع تصنيفها بل إنها لم تكن جلسة طبيب نفسي من الأساس ، لقد كانت نوعا من الحوار ، قصة قبل النوم استمع إليها وفي الحقيقة لقد قمت بتصديقها فقد كان اسلوب الراوي ممتعا بغض النظر عن تصرفاته لكن عقله المنظم اقنعني بأنها كانت حقيقية ، ولو كنت أشعر بأن حالة المريض نوع من أنواع الهذيان أو التخبط أو الاضطرابات العصبية لكنت انهيتها اسرع من ذلك ولم أكن لاجلس مع وليد هذا لما يقارب الثلاث ساعات وهذا لم يحدث مع مريض قبل ذلك طوال فترة عملي فقد استطاع وليد هذا أن يجذبني بحديثه المنطقي من وجه نظره ولكن يبقى السؤال الوحيد ما هو تفسير هذا الحلم ؟ لو كان تفسيره دينيا فقد يقال بأن الشيطان يتلاعب بعقله وأن هؤلاء الشخصيات التى رآها هي في النهاية مجرد تحذيرات ربانيه بأنه يجب عليه أن يعود إلى الله وان ينفذ تعاليم دينه ... وإذا فسرناها فلسفيا فقد يكون هذا الرجل يشعر بأن هناك شخصيات تحمل له الضغينة والكره ويتمنوا له الموت بأبشع الطرق ، أما إذا فسرنا الأمر طبيا فقد يكون أنه بسبب إرهاق عصبي ونفسي زرع داخل عقله هذا الحلم ، أما اذا سالت احد الاشخاص الذين تعودوا على المزاح فسوف يخبروك بأنه كان يجب عليه أن يضع

البطانيه جيدا عليه وهو نائم وان بالتأكيد كان هناك جزءا حساسا من جسده كان عاريا "

انتهى من سيجارته ثم اطفأها في ممحاة السجائر ورشف آخر رشفة من فنجان قهوته ثم أشار إلى الفتاة الواقفة تضع طلبات إحدى الزبائن فجاءت إليه وهي مبتسمه فسألها عن الحساب وترك لها المبلغ المطلوب مع بقشيش محترم ثم نظر في ساعته فوجدها أنها قاربت على الثالثة فتثاوب في خمول وقرر أنه حان موعد العودة إلى المنزل ثم النوم العميق.

*****

3

الموت الأسود

أستيقظ "يوسف" من نومه صباحا وهو يشعر بأن هناك آلاما كثيره في عظامه وكأن هناك قطار مار فوق جسده ذهابا وإيابا عدة مرات فمن الطبيعي أن ينام الإنسان من ستة الى ثمانية ساعات ولكن أن ينام من الساعة الرابعة عصرا بعد عودته من المطار الي الساعة التاسعة صباحا في اليوم التالي فهذا ليس شئ طبيعي بالمرة ولكن هذا شئ يعود إلى إرهاق عقله والتفكير الكثير .

أشعل سيجارة فقد فات ميعاد سيجارته والتى كانت من المفترض أن تكون الساعة السابعة صباحا وهذا يعنى ترتيب جدول سجائره مره اخرى حسب عدد الساعات كما تعود .

دخل إلى شرفة منزله بعد أن قام بتحضير كوب من الشاي بالنعناع هذا الإجراء المتبع يوميا حينما يستيقظ ثم أمسك هاتفه فوجد بأن هناك أكثر من 20 مكالمة فائته والتى لم يشعر بها من أثر النوم العميق فقرر أن يتجاهل تلك المكالمات وان يعاود الاتصال لاحقا ثم قام بفتح تطبيق الفيسبوك وأخذ يتصفح بعض من صفحات الفنانين والسياسيين ويقرأ

منشوراتهم دون أي تعليق منه ثم أخذ يتصفح صفحات الاخبار لمتابعة أحوال وأخبار العالم وأثناء تصفحه وجد عنوان لفت انتباهه كثيرا (تم انتشال الصندوق الأسود للطائرة المحطمة) جلس معتدلا وأخذ يقرأ الخبر جيدا والذي وجد مكتوبا كالتالى :

" بعد مرور يومين على سقوط الطائرة رقم 752 والتى كانت متجه إلى ألمانيا والتي وقعت في البحر المتوسط بعد انقطاع الإرسال بها لمدة عشرون دقيقة قبل سقوطها استطاع الغواصين والجهات المعنية المخصصة بالتحقيق انتشال الصندوق الاسود ويقول الخبراء بأن بإيجاد هذا الصندوق فقد نستطيع حل لغز سبب سقوط الطائرة والأحداث التى جرت خلال فترة انقطاع الارسال ، وقد تم اول أمس مساءا نشر أسماء الركاب الذين كانوا على متن الطائرة المنكوبة .. لقراءة قائمة أسماء الركاب اضغط على هذا الرابط :

https://facebook.com/hekayawakhbr/585339

ومن فضلك لا تنسى التفاعل والتعليق لأن هذا يدعمنا على الاستمرار "

ضغط "يوسف" بأصابعه سريعا على الرابط لكن وجد أن

الرابط لا يعمل وان هناك شئ خاطئ وهنا قرر أن يفعل الشئ الوحيد وهو الذهاب الي المطار مرة أخرى.

أثناء سيره داخل طرقات المطار كان هناك شئ آخر يشغل تفكير "يوسف" , لقد ذكر الخبر بأن الطائرة وقعت أول أمس وليس بالأمس فقد كان جالسا مع وليد بالأمس والذي تنبأ بسقوط الطائرة بسبب كائن غريب فهل هذا خطأ كتابي قام به مشرف صفحة الاخبار هذه ؟ ام أن تلك طائرة أخرى ليس لها علاقة بالطائرة التى كانت سوف يركبها وليد ؟ أن حل هذا اللغز سوف يكون بدايته في مكتب رئيس الأمن الموجود في المطار والذي استدعاه ليتفحص حاله وليد .

وعندما وصل إلى مكتب رئيس الأمن وجد عسكري واقفا أمام الباب فأخبره باسمه وطلب منه مقابله الضابط المسؤول لامر ضروري ، فدخل العسكري وبعد لحظات خرج وأخبره أن الضابط قد وافق على مقابلته ، وعندما دخل "يوسف" كانت هناك صدمه في انتظاره .

فلم يكن هذا هو الضابط الذي استقبله بالأمس ، أن الذي أمامه الان كان طويلا عريض المنكبين لون شعره أسودا ناعم تتناثر فيه بعض الشعيرات القليله البيضاء يقارب منه من الاربعين عاما تبدوا عليه علامات القوة والفراسه عكس الذي

قابله بالامس والذي كان قصير وسمين واصلع الرأس ويقارب منه الى الستين ، فجلس "يوسف" وهو ينظر إلى الضابط في توتر فقال له الضابط :

- أهلا وسهلا يا دكتور .. أقدر اعرف سبب مقابلتك ليا ؟

قال "يوسف" :

- في الحقيقة أنا جاي أسأل بخصوص الطيارة اللى وقعت امبارح؟

نظر له الضابط في تساؤل ثم قال :

- مفيش طيارات وقعت امبارح أكيد حضرتك تقصد اول امبارح.

قال "يوسف" :

- لا يا فندم انا بتكلم عن الطيارة اللى وقعت امبارح وكانت رايحه الماليا

قال له الضابط في إصرار:

- ما انا بقولك يا دكتور يوسف اهو أن مفيش طيارات وقعت امبارح الطيارة اللى حضرتك بتتكلم عنها دي وقعت أول امبارح.

قال "يوسف" في حيرة :

- انا مش فاهم حاجة .. طيب طيارة امبارح اللى كانت رايحة المانيا وصلت بسلام ؟

قال الضابط :

- بصراحة يا دكتور انا مش فاهم حضرتك تقصد ايه ولا فاهم اي حاجة بس خليني امشي معاك للنهاية وعلى العموم مكنش في طيارات رايحه المانيا امبارح ولا النهارده ولا حتى بكرة لان دي بتبقى مواعيد غير ثابته بسبب أحوال الطقس أو خطوط سير الطيارات وحاجات تانيه كتير معقدة.

قال "يوسف" بدهشة :

- ازاي يا فندم ؟ انا كنت موجود هنا امبارح بعد ما استدعاني زميل حضرتك علشان أكشف على واحد كان عنده حاله عصبية والحالة دي كانت المفروض تكون على الطيارة اللى طالعه ألمانيا.

قال الضابط في تساؤل :

- امبارح ؟ وزميل ليا ؟

قال "يوسف" :

- أيـوة هـو كـان أكبـر مـن حضرتـك في الســن وقصير ومليان شويه واصلع

قال الضابط :

- كانت الساعة كام ؟

قال "يوسف" :

- كنـت هنا حوالى الساعـة عشـرة الصبـح ومشيـت مـن عنـده حوالى الساعة واحدة بعد الضهر

قال الضابط في هدوء محاولا أن يتمالك اعصابه :

- بـص بصراحـة كده انا لو مكنتـش عارف انك دكتـور وراجـل محتـرم كنـت أمرت بحبسـك لان اللـى انـت بتقولـه ده كـلام مجانيـن لان اولا مفيـش ضابـط تانى مسـؤول هنـا في المطار غيري .. ثانيا بقى مش من حـق أي ضابط أن يستدعي طبيب علشان يكشـف على حالـه ده إجراء لازم تاخده النيابه ويكون كمان النيابه هي اللى اختـارت الطبيـب ده يعنى ده شئ مـش من صلاحيتنا.

قال "يوسف" في حيرة :

- بس انا متاكد من اللى بقوله لحضرتك

قال الضابط :

- ولانا مقولتش انك مجنون فياريت لو سمحت نتجاوز الموضوع ده وتتفضل تمشي في هدوء بدل ما انزلك الحجز

قال "يوسف" وهو يهم بالنهوض من الكرسي :

- سؤال اخير يا حضرة الضابط وهمشي بعدها

قال الضابط :

- اتفضل يا دكتور

- اكيد حضرتك لما بتعمل محضر لحد بيكون اسمه مكتوب في المحضر

هز الضابط رأسه موافقا على كلامه فأستكمل يوسف حديثه وقال :

- طيب ممكن حضرتك تسال على محضر بأسم وليد سليمان البشبيشي ووظيفته مهندس هو كان من المفروض يكون على الطيارة دي

رفع الضابط سماعة الهاتف الارضي وسأل محدثه عن اسم "وليد" ثم اغلق الخط بعد أن وضع السماعة مرة أخرى وقال :

- مفيش محضر اتعمل لحد بالاسم ده

شكره "يوسف" وخرج من المكتب وعقله مشتت من كثرة التفكير فما يحدث الان هو ضرب من الخيال وأن هناك شئ غير منطقي وهنا مر بجواره إحدى المضيفات فاوقفها واخبرها بأنه يريد معرفة قائمة الأسماء التى كانت موجودة على الطائرة التى سقطت فأخبرته بأن تلك الطائرة كانت تابعة لمكتب طيران وأخبرته عن مكان هذا المكتب في المطار بعد أن وصفت له طريقة وصوله إليه .

وعند مكتب الطيران استلم "يوسف" ورقه بها قائمة الأسماء من إحدى الموظفات الجالسات وراء إحدى شاشات الكمبيوتر وأخذ يقرأ الاسماء وهو سائر بتركيز شديد والمدهش أن اسم وليد لم يكن ضمن قائمة الأسماء وهذا ما سبب له حيرة أكثر

سار على قدميه حتى وصل إلى الكافيتريا الخاصة بالمطار ثم جلس على أقرب كرسي قابله وأخذ يقرأ قائمة الاسماء مرة أخرى فلم يجد اسم وليد ، ولكن كيف حدث هذا ؟

هل كانت شخصية "وليد" هذا لم تكن موجودة من الأساس هذا ما يؤكده الضابط المسؤول الذي قابله للتو والذي أخبره بأنه ليس هناك ضابطا مسؤولا اخر غيره ، فإذا كان الضابط الذي استدعاه لاختبار حالة "وليد" هو في الأساس شخصية وهمية فبالتالى لم يكن وليد شخص حقيقي .

هنا اقترب منه النادل الشاب والذي سأله عما يشربه فنظر له يوسف وقد راق له فكرة قد تكون هي التأكيد الاخير لكشف ملابسات ما يحدث حوله ، فقال له :

- انا عاوز فنجان قهوة وعلبة سجاير

فهز له النادل رأسه في ود وقبل أن ينصرف قال له يوسف :

- لو سمحت امبارح انا كنت هنا وطلبت شاي والآنسه اللى كانت هنا جابتلى قهوة بدل الشاي وكمان علبة السجاير مكنتش هي نفس النوع اللى انا طلبتها ..

نظر له النادل الشاب في تساؤل وقال :

- آنسة ؟ آنسة مين ؟ احنا مفيش آنسات بتشتغل معانا

قال له يوسف :

- انت متأكد ؟

قال النادل وهو يبتسم :

- طبعا ياباشا متأكد .. كلام ما بيني وما بينك الكافيتريا دي لابويا وعمى ماجرينها شرك من وزارة السياحة ووردية الصبح بيبقى موجود فيها انا وابويا بس ووردية الليل بيبقى موجود فيها عمي وأولاده الاتنين وكل أسبوع بنبدل الورادي ما بينا

ومابين عمي وكمان عمي معندهوش بنات اساسا

ابتسم له "يوسف" ثم قال :

- أنا آسف يابني معلشي الظاهر انى اتلغبطت في المكان بس هو الموقف حصل معايا فعلا بس الظاهر زي ما قولتلك حصل في مكان تانى .. معلشي ضغط الشغل بيخلي الواحد يسقط حاجات كتيرة منه

ابتسم النادل وقال :

- الله يكون في العون ياباشا

فأخرج يوسف بضع الوريقات من العملة ثم لفها ووضعها في يد النادل وشكره ثم هم بالانصراف ، نظر النادل إلى المال الذي في يديه وقال :

- ده كتير اوي يا باشا

قال "يوسف" مغادرا :

- مفيش حاجة تكتر عليك

فقال النادل :

- طيب والطلبات ؟

لم يجيبه يوسف وقرر الذهاب وفي عقله سؤال واحد ..

"ما الذي يحدث ؟ "

دخل "يوسف" شقته وأول شئ فعله هو البحث عن كراسته الصغيرة فبالتأكيد هناك شئ قاله وليد في حديثهما سويا قد يكون خيطا لكشف السر فيما يحدث معه الان وحينما وجدها داخل حقيبته اخذها وجلس على الأريكة الموجودة في صالة شقته وأخذ يقلب أوراقها في سرعة لكن لم يجد شئ .

لم يجد أي شئ حرفيا ..

كانت كراسته الصغيرة جميع اوراقها فارغة تماما عدا جملة واحدة هو يتذكرها جيدا ولم يكتبها هو لأنها كتبت بخط سئ للغايه .. خط يدل على من كتبه كانت يده ترتعش في خوف أو كتبت بيد من لم يعتاد على الكتابة .

كانت الجملة تقول " متمشيش ورا تهيؤاتك كتير يا دكتور لازم تسأل وتتأكد " ان تلك الجملة عقله يتذكرها جيدا لأن قائل تلك الجملة هو وليد نفسه .. وهنا بفراسه شديدة فهم يوسف معنى الرسالة فأخرج هاتفه ونظر الي التاريخ فوجد مكتوبا (الثلاثاء / 21 نوفمبر /الساعة الثالثة عصرا) وهذا يعنى شئ واحدا وهو أن هناك يوم مفقود فقد قابل وليد هذا

يوم الاحد ، واليوم هو الثلاثاء ، فماذا حدث يوم الاثنين ؟

نظر الى أعلى ركن في الصالة ، وقد نبتت في ثنايات عقله فكرة جديدة أن هذا الركن موجود به كاميرا مراقبة والذي قام بتركيبها بعد حادثة السرقة التى تعرضت له شقته منذ سنتين ، وعلى الفور احضر اللابتوب وقام بإيصال الأسلاك بها وقرر أن يشاهد تسجيلات الكاميرا منذ يوم الاحد وهنا بدأت الأمور تتضح له .

لقد كان جالسا يوم الأحد على الأريكة يتصفح هاتفه ويبدو أن هاتفه المحمول قد جاء به مكالمه فوقف واقترب من زجاج شرفته ثم أجاب ووضع سماعه الهاتف على أذنه وبعد قليل وضع الهاتف في جيبه وظل واقفا أمام زجاج الشرفه ثابتا لا يتحرك .

مرت عشر دقائق في التسجيل ومازال "يوسف" واقفا مكانه ثابتا فأخذ يوسف يضغط على سرعة العرض الى x2 ولكن لم يحدث شئ فقد مر أكثر من ساعة على عداد الوقت الخاص بالتسجيل وكان يوسف مازال واقفا ثابتا في مكانه .

قام بزيادة السرعة الى x4 ولكنه يظهر "يوسف" في صورة العرض ثابتا كما هو بلا أي حركة ..

قام بزيادة السرعة إلى x8 ولكن كما هو الحال دون أي تغيير بالرغم من مرور 6 ساعات ..

قام بزيادة السرعة الى x16 وهى اخر سرعة يستطيع جهاز التسجيل فعله وكان يظهر يوسف كما هو واقفا ثابتا بلا حراك

انتهى يوم الاحد .. وجاء ليل الاثنين وكان واقفا ثابتا كما هو.

ثم جاء صباح الاثنين وكان واقفا ثابتا كما هو الحال بلا حراك

كان "يوسف" يشاهد ويراقب في تركيز شديد وتوتر وحيره من امره وهو ما أصاب قواه العصبيه وهذا ما جعله يكسر قواعده ويشعل سيجارة في غير وقتها المعتاد الي أن جائت الساعة الرابعه على جهاز التسجيل.

وفي الساعة الرابعة الموافق يوم الاثنين الموافق 20 نوفمبر على شاشة التسجيل تحرك يوسف اخيرا بعد أن ظل واقفا ثابتا على قدمه لأكثر من 24 ساعة وبعد أن بدأ في التحرك أخرج هاتفه المحمول من جيبه وخلع حذائه ثم دخل الى غرفه نومه ولم يخرج منها سوى اليوم في الساعة التاسعة صباحا وهذا ما يفسر سبب آلام جسده .

ولكن ما الذي سبب له تلك الحاله التى إصابته ؟ من الذي قام بمحادثته على الهاتف وماذا قال له ؟

كانت هناك الكثير من التساؤلات تدور داخل عقله ولكنه لم يجد اجابه واضحه لها وبالرغم من هذا استطاع أن يحافظ على سلامة قواه العقلية وأن يعيد ترتيب الأمور والتفكير بعقل متزن هادئ وعندما اغلق اللابتوب وفك جميع الاسلاك منه وقام بايصالها في أوضاعها الصحيحة في جهاز التسجيل حمل اللابتوب ووقف ليذهب إلى غرفة نومه.

ولكن فجأة سقط اللابتوب من يديه ..

فلقد كان واقفا هناك ...

كائن غريب مخيف ينظر له بعيون دمويتين يتطاير منهما الشرر والغضب .. وكان واقفا أمامه مباشرةً ويوسف يرتعد من الرعب .. وداخل ثنايات عقل يوسف بدأت تظهر اصوات طبل .. ويبدأ صوت غريب يقول داخل عقله:

كانوا اثنى عشر مختارا

سقطوا من النجم المذهب

كانوا اثنى عشر محارب

لم يرهبهم نارا أو لهب

كانوا اثنى عشر فارس

لم يطمعوا في ماس أو ذهب

كانوا اثنى عشر

سقط واحدا وانت التالي والثالث قد ذهب

وهنا شعر "يوسف" بألم فظيع في كف يده اليسرى ..

مسك "يوسف" يده اليسرى باليمنى وهو يصرخ كأن هناك نارا تحرق يده وبدأت تظهر على كف يده دائرة داخلها رقم 2 وكأنها ختمت بختم من نار ووصم بها إلى أن يفنى جسده.

وقع "يوسف" على الأرض من شدة الألم وهو يمسك يده ويصرخ عاليا باكيا .. هنا اقترب منه الكائن ثم حمله بقوه والقاه بالقرب من باب الشرفة الزجاجية ، فتأوه "يوسف" من أثر السقطه وهو مازال ممسكا بيده في ألم ، وهنا سمع صوت داخل عقله يقول بصوت مرعب :

- قم ايها المختار ولبي دعوة اختيارك

نظر "يوسف" إلى الكائن وقال :

- انت ايه وعاوز مني ايه مبني في حالي

نظر له الكائن وأشار إلى الشرفة ثم سمع صوته مرة أخرى داخل ثنايات عقله :

- قم ولبي نداء الدعوة ولا تجعل من موتك هباءا فأنت هنا لا تملك حق الاختيار

قال "يوسف" في إرهاق :

- انت عاوزني ارمي نفسي ؟ ليه ؟ علشانك ؟ انت ولا حاجة ولا تقدر تعمل معايا حاجة ، الموت والحياة حاجة يملكها ربنا وانت مش من حقك تقرر مصيري

صرخ الكائن الغريب في قوه وغضب ثم حمل "يوسف" بيد واحده ثم ألقاه في اتجاه الشرفه فكسر زجاج باب الشرفه وخرج جسد "يوسف" وأصبح في الشرفه ثم سمع "يوسف" صوت هذا الكائن في ثنايات عقله يقول :

- انا استطيع ان اقنعك بالقاء نفسك

وهنا شعر "يوسف" بألم فظيع في ظهره كأنه قد نام على جمرات من نار .. وأخذ يوسف يصرخ صرخات عاليه .

صرخات تمزق الآذان ..

صرخات تدل على قوة الالم التى يشعر بها يوسف ..

قوة ألم واحتراق شديدين جعلته يقف على قدميه في ارهاق ثم أمسك جدران الشرفة بيد مرتعشة ليلقي بنفسه في الهواء

ليسقط من الدور الخامس صريعا ملقى على الأرض وعلى وجه علامات الفزع والألم الشديد .

وبداخل شقته كان قد اختفى الكائن الغريب تماما ..

وهناك على المنضدة الخشبية الصغيرة الموجودة في صالة الشقة كانت عليها الورقة التى تحمل أسماء الركاب الذين كانوا على متن الطائرة المنكوبة وأسفل اخر اسم في القائمة بدأت تظهر نقاط سوداء صغيرة .

ثم تشكلت إلى أشكال صغيرة ..

ثم بدأت تتشكل الى حروف ..

ثم بدأت الحروف تتشابك ..

ثم ظهر الاسم كاملا ..

" وليد سليمان البشبيشي "

** تمت بحمد الله **

تعقيب صغير

حالة الديجافو دي حالة بتهيأ فيها للشخص أنه اتكرر معاه حدوث موقف أو أنه شاف مشهد معين قبل كده أو انه حس بأنه قد شاف قبل كده مكان بالرغم أنه بيزوره لأول مرة.

طيب ايه هو تفسير ظاهرة الديجافو ؟ خليني اقولك أن تفسير الظاهرة دي ليها بعض الفرضيات :

علماء أو باحثين أو كُتّاب ما وراء الطبيعة بيعتقدوا أن ظاهرة الديجافو بتتعلق بخبرة حياتية ماضية عشناها قبل ما نيجي للدنيا في اشكالنا الحالية وهم اعتقدوا أن ظاهرة الديجافو تشبه كتير لظاهرة تانيه تعرف بتجربة ما قبل الولادة BBE.

المحللون النفسيون بقى شايفين ان الديجافو تعتبر تعبير عن رغبة قوية لتكرار تجربة ماضية، والأطباء بيفسروها على أنها حدوث عدم مطابقة Mismatching في الدماغ بيتسبب في جعل الدماغ يخلط بين الإحساس بالحاضر والماضي.

لكن على كل حال ظاهرة ديجافو ممكن نفسرها بشكل عام أن في عدم توافق زمني في تسجيل الأحداث في نصفي الدماغ الأيمن والأيسر

وخليني برضه أوضح نقطة أن ظاهرة الديجافو ظاهرة

نفسية بديهية أو حدسية شائعة بتحصل لكتير مننا ومنتشرة نسبياً بين الذكور والإناث على حد سواء وبالرغم من كده مفيش دليل قاطع على مدى شيوع ظاهرة ديجافو على أرض الواقع في تقديرات مختلفة بتقول أن ما بين 60 الى80 % من مكان العالم بيعانوا من ظاهرة ديجافو

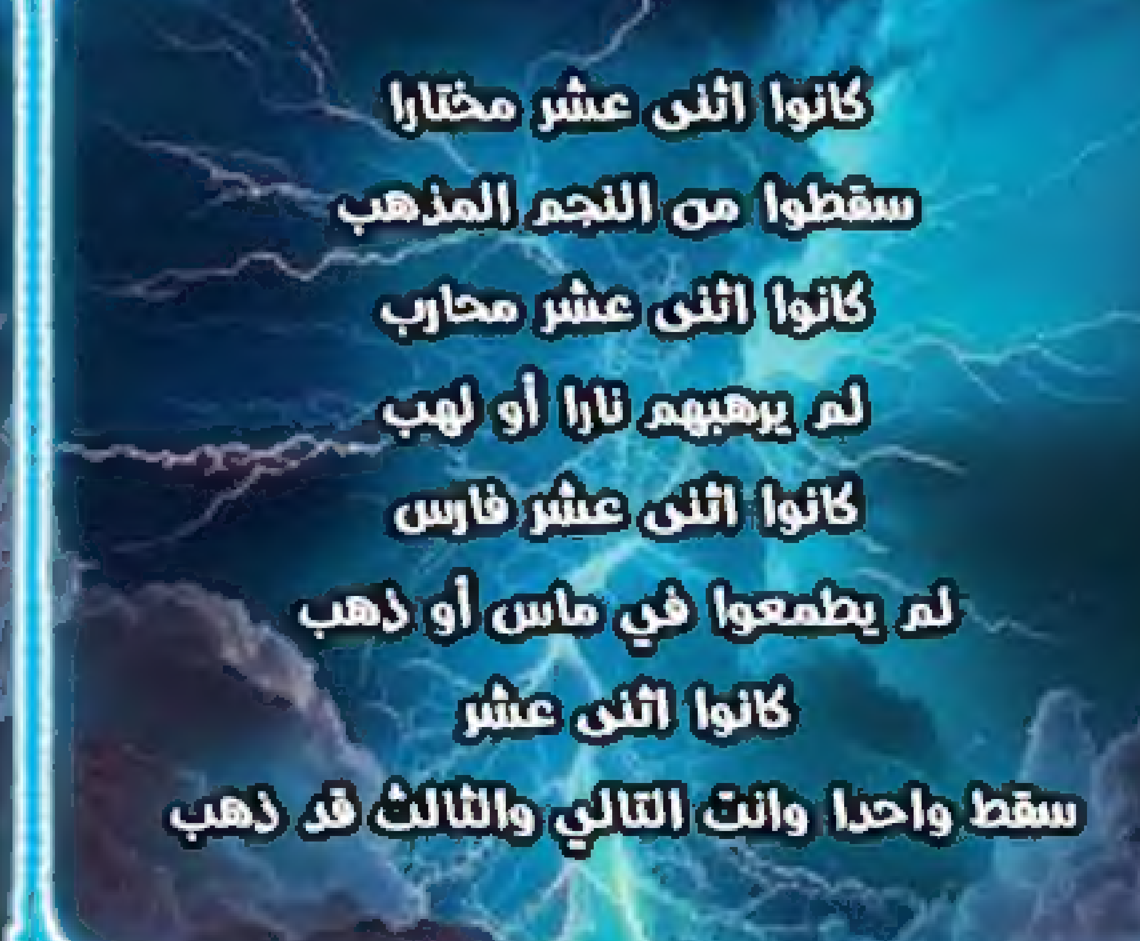
من مقال تم كتابته من قبل

على صفحتى الشخصيةعلى الفيسبوك

أحمد عبد الحميد

أعمال أخرى للكاتب

- رواية لعنة الزمردة أسرار الثعلب
- رواية لعنة الزمردة 2 البداية
- رواية لعنة الزمردة 3 القربان
- رواية لعنة الزمردة 4 برديات أوزاريس (تحت الكتابة)
- رواية الموت الأسود
- كتاب الحشاشين
- رواية نباش المقابر
- رواية تعويذة الحياة
- كتاب أساطير وحكايات (تحت الكتابة)



الموت الأسود

BLACK DEATH

أحمد عبد الحميد